الكلاسيكية الجديدة والرومانتيكية (النكوص في الفن)

ان التوازن والاكتمال الذي وصلت اليه فنون عصر النهضة جعل من أي محاولة لاحقة للتجديد نوع من الاجترار لما طرحته فنون النهضة فرغم محاولات فنون الباروك والركوكو منذ القرن السابع عشر ايجاد منافذ بصرية جديدة الا انها استمرت محافظة على التقاليد الكلاسيكية النهضوية مع المبالغة الزخرفية و تفعيل التأثيرات والخدع البصرية كنوع من التفخيم لاضفاء جرعات جمالية مضاعفة تحقيقاً لرغبات سياسية ، بما استدعى النقاد توصيفها بتوصيفات ازدرائية لتحريفها الاصل ومنافاتها القوانين العقلانية التنويرية . لتطفوا محاولات تجديدية منذ القرن الثامن عشر بزعامة تياران متناقضان الاول التزم موفقاً عقلانياً مع الكلاسيكية الجد يدة ز

اما الثاني فألتزم موقفاً ذاتياً عاطفياً مع الرومانتيكية . وقد حاولت الكلاسيكية الجديدة احياء وبعث التراث الاغريقي احتفاءً وتمجيداً للذات المؤسسة وهذه نجد لها تطبيقات في ما اطلقه ابن خلدون في تفسيره لحركة التاريخ التطورية وتوصيفها بالحركة الدائرية التي تفترض ان الحضارة في تطورها تمر بمراحل من الطفولة الى الشباب الى الشيخوخة كمرحلة اخيرة وهنا يكف الفكر عن التطور والنتاج فيعود الى البدايات الاولى . اما الرومانتيكية فقد ادانت عقلانية وجمود الكلاسيكية لتطلق الخيال واللاعقلانية كأجراء مناهض وهذه يمكن تفسيرها بحسب فيكو الذي اتخذ مبدا الحركة اللولبية في تفسيره لحركة التاريخ عندما اقر ان الحضارة في تطورها تمر مرورا تصاعدياً بثلاث مراحل اخرها الشيخوخة والتدهور فالرومانسيية عندما غيبت واستبدلت العقل باللاعقل تكون قد وصلت حالة من الانحلال والتدهور وهو ما اشار اليه افلاطون عندما صرح بأن كل ما هو انساني ينمو ثم يندثر مثال ذلك ((الدولة المثالية لا بد ان يعقبها دورة انحدار الى انماط ادنى فيقع الانحلال والتفكك ويستبدل العقلاني باللاعقلاني ويغيب ضبط النفس والانسجام والاعتدال أما الفن يهبط مما هو مثالي الى الافراط العاطفي واللاعقلانية والرذيلة والاسراف في اشباع الشهوات)) [١] .

الكلاسيكية الجديدة والرومانتيكية ((نكوص الفن))

من خلال ما تقدم وحسب تنظيرات فيكو وابن خلدون في تفسير حركة التاريخ يمكن توصيف فن الكلاسيكية الجديدة والرومانتيكية على انها مرحلة الشيخوخة لحركة الفن الغربي لتشكل مع الكلاسيكية الجديدة حركة دائرية تمثلت بالعودة الى البدايات وهو ما نجد له في حقل علم النفس مصطلحاً يعرف بالنكوص الذي يعني " **الارتداد والتقهقر**

[١]) توماس مونرو : التطور في الفنون . تر. محمد علي ابو درة . م. احمد نجيب هاشم ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ج ١ ص١٠٠-١٠١

في النشاط النفسي الى مرحلة سابقة من مراحل تطور البناء والتكوين النفسي عند الانسان ، وهو يعني ايضا الرجوع الى الخلف الى مرحلة سابقة من مراحل العمر في التعامل والسلوك مع الاخرين في مواقف الحياة العديدة وذلك الرجوع مرده الاحباط وفقدان الفرد لتوازنه بمايخلق نوع من القلق والعجز فيلجأ الفرد الى الماضي كأجراء دفاعي على ذلك يوصف النكوص على انه انكاراً للواقع وتشويهه وتزيفه . بما يستدعي القول ان الكلاسيكية الجديدة في عودتها لاحياء التراث الاغريقي لم تحقق التطور او اضافة بل اجترت البدايات ولغايات سياسية ليكون استدعاء الماضي كنوع من الاحتفاء بالذات المؤسسة لتقديم صورة متعالية للاسلاف وتوصيفهم بالحكمة والعقل بما يضعهم بالمرتبة الاولى ضمن الترتيب الهرمي للاجناس الاخرى ، على ذلك جاءت فنون الكلاسيكية الجديدة محملة بجرعات من الاساطير والبطولات والانتصارات ضمن القوانين المثالية التي انتجت اشكالاً امتازت بالعقلانية والانضباط والصرامة وهو ما طالب به لويس دافيد كزعيم لهذه الحركة وقد ضمت اعماله حملت مضموناً سياسياً دعائياً تدعو لتمجيد البطولات ومشاهد القتال كما في "لوحته قسم الاخوة هوراس*. وسلسلة اعماله التي توثق انتصارات نابليون

اما الرومانتيكية التي اتخذت موقفاً عاطفياً ورؤية حدسية فقد ادانت العقلانية الصارمة للكلاسيكية الجديدة لتقدم الخيال كأجراء للتغير وهنا تنطبق الحركة اللولبية لتنظيرات فيكو فيبدو ان الفن في نموه وصل مرحلة الشيخوخة او النكوص والانحلال فبدا يتبع اللاعقلانية والرغبات الذاتية كما فسره افلاطون في حديثه عن التطور في الفن الذي يهبط مما هو مثالي الى الافراط العاطفي واللاعقلانية والرذيلة والاسراف في اشباع الشهوات اما ارنولد هاوزر فيفسر انتقال الفن من المثالية الى النزعة العاطفية الانفعالية بأنه ((تغيير في الذوق يعبر عن سأم الاوساط المثقفة

قسم الاخوة هوراس : مسرحية ألّفها بيير كورنيي واستوحاها من المعارك بين الهوراسيين والكورياسيين. وقد تم آداؤها أول مرة سنة ١٦٣٩ * فوموضوع اللوحة مأخوذ عن التاريخ الروماني اذ يقتبس دافيد إحدى مسرحيات القرن السابع عشر التي تصور ثلاثة من الشباب الرومان المحاربين وهم من أسرة (هوراتيوس) الذين وهبوا أنفسهم للقتال حتى الموت ضد مدينة مجاورة كانت في حرب مع مدينتهم روما على الرغم من أن أخواتهم الثلاث زوجات لرجال ينتمون إلى المدينة المعادية.

في المجتمع واشمئزازها من الفن المعقد المنحل)) [١] ويرتبط ذلك التغيير بدخول اوربا لمرحلة ثورية على مستوى الفكر والسياسة والاقتصاد بما حقق شعوراً بعدم الرضا نحو التقاليد الكلاسيكية وعقلانيتها الصارمة فمع وصول العالم لمرحلة من الفكر والعلم ظهرت الحاجة الى ايجاد منافذ جديدة تستدعي فكرة الحرية والتخلص من اصنام العقل كانت قد اطلقت شراراتها الثورة الفرنسية بعد ان ادركت الطبقات المهمشة الايدلوجيات الزائفة لرجال الدين والسياسة بوصفها ادوات صنفت العالم تصنيفاً طبقياً ، ومع ذلك التحول برزت الحاجة الى ايجاد معادلات صورية للافكار المستحدثة كأجراء تطبيقي لعلاقة الفن بالفكر ذلك ان الفن بوصفه احد الفروع المعرفية فهو ليس بمعزل عن الحقول المجاورة ، لتوصف الرومانتيكية كردة فعل ونوع من التمرد على كل ماهو سلطوي ، اداتها في تحقيق ذلك اعلاء الذات الفردية والحرية كأنموذج للحقيقة والجمال ((**فالرومانتيكية بحسب هاوزر ثورة على الفن الكلاسيكي والخروج على قيمه ومبادئه المثالية التي قيدته داخل اطارات مثالية ونموذجية**)) [٢] فقد رفض الرومانتيكيون القوالب الجاهزة واستبدلوا العقل بالعاطفة والخيال و تصعيد الرؤية الدرامية التي قد تصل في بعض الاعمال حدود اللامعقول والرؤية الفانتازية ففي الشكلين (٤ ، ٥) نجد تصعيداً درامياً تمثل من خلال شدة الاهتمام بالضوء والعتمة وحركة الاجساد الانفعالية فضلا عن الاجواء الفانتازيا كما في لوحة اسد يهاجم حصان للفنان جورج ستابس الضخمة عام ١٧٦٢ ولوحة دفن أتالا، للفنان آن لويس جيورديت دي روسي تريوسون عام ١٨٠٨ ،

(٤) جورج ستايس اسد يهاجم حصان ١٧٦٢

(٥) ان لويس دفن اتالا ١٨٠٨

[1] **ارنولد هاوزر : الفن والمجتمع عبر التاريخ ، مصدر سبق ذكره ، ص٦٦**

[2] **راوية عبد النعم : القيم الجمالية (دراسات في الفن والجمال) ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩مصدر سبق ذكره ٨٧ ص٣٧١**

اما في الشكلين (٦، ٧) نجد ان تصعيداً للجانب الفانتازي وعوالم اللامعقول ففي لوحة الكابوس * للفنان هنري فوسيلي نجد ان الرؤية الدرامية قد أُنتجت بتركيبة حُلمية جمعت بين الشكل البشري والشكل الحيواني لايصال فكرة تتعلق بالرعب والقلق وثنائية الخير والشر، بذات الرؤية الدرامية اخرجت لوحة الفنان الاله ساترون يلتهم ابناءه * للفنان غويا

(٦) فوسيلي الكابوس ١٧٨١

(٧) الاله ساترون يلتهم ابناءه ١٨٢٠

من خلال استقراء ما تقدم يبدو ان انتقال الرومانسية نحو تغييب العقل واتباع الرغبات والاستدعاءات الذاتية قد شكلت نوع من النمو بحركة لولبية تصاعدية لتصل بالفن الاوربي مرحلته الاخيرة فأذا كانت الكلاسيكية الجديدة في نموها قد اتبعت حركة دائرية انتهت بعودتها للماضي بتصعيد العقلي على الذاتي فأن الرومانسية استدعت الذاتية والرغبات والشهوات وفي الحالتين ينطبق على الكلاسيكية الجديدة مبدا النكوص كمفهوم يقوم على الارتداد لسلوكيات سابقة كما جاء توصيفه ضمن العلوم النفسية ، اما الرومانسية فينطبق عليها الانحلال او التدهور على اعتبار ان كل الظواهر تخضع لقانون النشوء والتطور والانحلال اوالنكوص كما جاء في علوم البايولوجيا

---

*) لوحة لكابوس The Nightmare : رسمت على الطراز القوطي/الرومانسيك. محاطة بألوان داكنة في الغالب، تواجه المرأة كابوسًا. بشرتها المتوهجة تأتي على النقيض من كل الشخصيات المظلمة الشريرة من حولها الموقف أن المرأة ضعيفة للغاية. ترتدي اللون الأبيض والنقاء وخلفها ستارة حمراء اللون تمثل العاطفة والشهوة. هذا بالإضافة إلى التباين الكبير بين النور والظلام يخلق فرقًا رمزيًا بين براءة المرأة والشر الذي يحيط بها. على الرغم من أن شخصية "الشيطان" لا يبدو أنها تقوم بأي أعمال شريرة، إلا أن تعبيرات وجهه تظهر مدى انزعاج المشاهد من مقاطعته. لقد أصبحت هذه اللوحة أيقونة للرعب منذ أن عُرضت لأول مرة على الجمهور في معرض الأكاديمية الملكية السنوي في لندن عام ١٧٨٢. رسم فوسيلي هذه اللوحة بهدف واحد فقط هو الصدمة وصنع اسم لنفسه. وقد نجح في ذلك. تم نسخ هذا العمل عدة مرات وتم الجدل حول مدى كونه شيطانيًا وإثارة.

*) ز***حل يلتهم ابنه Saturn Devouring His Son*** هي لوحة للفنان الإسباني فرانسيسكو غويا .يعتبر تقليديًا تصويرًا للأسطورة اليونانية للعملاق كرونوس ، الذي أطلق عليه الرومان اسم زحل ، وهو يأكل أحد أبنائه خوفًا من نبوءة جايا بأن أحد أبنائه سيطيح به هذا العمل هو واحد من ١٤ لوحة تسمى " *اللوحات السوداء*" التي رسمها غويا مباشرة على جدران منزله في وقت ما بين ١٨٢٠ و١٨٢٣ .تم نقلها إلى القماش بعد وفاة غويا وهي الآن في متحف ديل برادو. في مدريد